المحاضرة الخامسة : اللغة العربية. المرحلة الثانية / قسم الارشاد / الفصل الثاني

ـ الفرزدق حياته واثاره الشعرية واغراضها :

ـــ الشاعر الفرزدق وحياته :

الفرزدقُ هو همّام بن غالب بن صعصعة المولود في البصرة في السنة العشرين للهجرة، أمّا أمّه فهي ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس، وهو صحابيّ جليل كان من أشراف العرب في العصر الجاهليّ ويُشار إلى أنّ الفرزدق في مرحلة الشباب كان يُكنّى بأبي مكيّة؛ تيمُّناً باسم ابنة له، أمّا الفرزدق فهو لقبٌ أُطلق عليه لخشونة ملامح وجهه ، اشتُهِر الفرزدق بنسبه الرفيع؛ فهو من قبيلة بدوية كان لها مكانة مرموقة وشأنٌ عظيم في الجاهلية تُدعى (دارم) التي عُرِفت بسطوتها بين القبائل، أمّا والده فقد اشتُهِر بالعزّة، والكرم، وكان جدّه صعصعة سيّداً في قومه سلك طريقاً كريماً كان سبباً في شهرته؛ وذلك حين اشترى أكثر من أربعمئة موؤودة وأنقذهنّ من الموت، وقد تأثّر الفرزدق بجدّه، وورث عنه حبّ النجدة التي ذكرها، وعظّمها كثيراً في شِعره، ويُذكَر أنّ الفرزدق اكتسب من نشأته في البادية خِصال أهلها؛ فكان حادّاً في طبعه، قويّاً في جداله، يملك لغةً صحراويةً صعبةً، الأمر الذي أكسبه طِباعاً لم تتغيّر، لم يكن الفرزدق على قَدرٍ عالٍ من حُسن الصورة والمظهر، إلّا أنّه كان مُعتَزّاً بنفسه مُعجَباً بها رغم ذلك، وكان شديد العناية بهندامه ولباسه المصنوع من الديباج والخزّ، كما عُرِف عنه حِرصه على لبس المجوهرات الفاخرة، وتخضيب لحيته وشَعر رأسه، أمّا أخلاقه فقد اكتسبها من البادية؛ فكان فصيحاً ذكياً سريع الجواب والبديهة، وكان كثير الزهو والافتخار بنفسه، وبقومه ، ورغم ما عُرِف عن الفرزدق أحياناً من صفات غير مُحبّبة، إلّا أنّه كان ذا منزلة عالية في ميدان الحياة الأدبيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة في العهد الأمويّ؛ فقد كان سيّداً شريفاً في قومه، يُنسَب إلى قبيلة ذات مكانة رفيعة –كما ذُكِر سابقاً–، كما كان من فحول الشعراء في ذلك الوقت والذين استطاعوا من خلال شِعرهم أن يُوثّقوا الكثير من الأحداث التي مرّ بها العرب في ذلك الحين .

اقول : أمضى الفرزدق حياته مُتنقِّلاً بين الخلفاء والولاة، يمدحهم تارةً، ويهجوهم تارةً أخرى، وقد عُرِف عنه حبّه وولاؤه لآل البيت؛ فكان يُجاهر بهذا الحبّ في شِعره مادحاً إيّاهم، ومدافعاً عنهم لا يخشى في ذلك لومة لائم، ولعلّ مدحه لزين العابدين علي بقصيدته المشهورة (الميميّة) خير دليلٍ على هذا الولاء ،

ـ منزلة الفرزدق وآثاره :

ترك الفرزدق في الشِّعر إرثاً عظيماً تمثّل بديوانٍ زخر بفنون شعريّة عدّة كان أعظمها في المديح، فيما تنوّع باقيها بين فخر، وهجاء، وغزل، ومن الجدير بالذكر أنّ أشعار الغزل المعروفة عن الفرزدق كانت قليلة إذا ما قُورِنت بما تركه جرير منها، إلّا أنّه في الفخر كان له الباع الأطول، أمّا أشعار النقائض التي جمعته به فقد طُبِعت في مُجلَّدَين كبيرَين في ليدن، كما عُرِف عن الفرزدق مَيله إلى نَظم قِصار القصائد أكثر من طوالها؛ نظراً لكونها أسهل للحفظ، وأكثر شيوعاً وتداوُلاً في المجالس حسب رأيه وقد تحدّث الكثير من الأدباء والشعراء عن الفرزدق وشِعره، وأبدَوا رأيهم فيه، وفيما يلي بعضٌ من هذه الآراء ابن سلام: الذي اعتبر الفرزدقَ من شُعراء الطبقة الأولى في الإسلام، وفضّله على غيره من الشعراء، مثل: جرير، والأخطل.

ـ وفاة الفرزدق : أصاب الفرزدق قبل وفاته ما يُسمّى بالدبيلة (وهو تجمُّع قيحيّ في الجوف)، فذهب إلى البصرة؛ للعلاج منه، إلّا أنّه تُوفّي بعد ذلك، وكان قد تجاوز المئة عام، علماً أنّ وفاته كانت في خلافة هشام بن عبدالملك، ومن الجدير بالذكر أنّه تُوفّي قبل جرير بفترة قصيرة في سنة ١١١هـ على الاصح في روايات اصحاب تراجم .

ـ الاغراض الشعرية لشعر الفرزدق :

يُعتبَر الفرزدق واحداً من فحول الشعراء الثلاثة في العصر الأمويّ، أمّا الشاعران الآخران، فهما: جرير، والأخطل، وقد كوّن هؤلاء الشعراء ما سُمِّي بالمُثلَّث الأمويّ إلى الحدّ الذي اختلف فيه الناس حول أفضليّة أحدهم على الآخر؛ فقد نظم الفرزدق شِعره في مختلف الأغراض الشعرية المعروفة؛ فله قصائد في الفخر، والهجاء، والمديح، والغزل، والرثاء، إلّا أنّ الفخر كان أكثر ما لاءم طبعه، تلاه الهجاء، ثمّ المديح كما أنّ له قصائد جيّدة في الرثاء كان منها ما رثى بها نفسه بقوله: "أنا مدينة الشعراء"، وله القليل من الغزل، والرجز، وتميّزت أشعار الفرزدق برصانة التراكيب، وقوة الألفاظ، وجزالتها، كما عُرِف عنه استخدامه للغريب منها، فيما اعتبره المُؤرِّخون من أكثر الشعراء نَظماً في الفخر؛ لأنّ بواعثه اجتمعت فيه؛ فهو ينتمي إلى قبيلة ذات نَسب رفيع، ويملك عزيمة عالية كانت بارزة في شِعره. وفيما يأتي شَرح لهذه الأغراض:

ـ الهجاء: كان للفرزدق طابع خاصّ وفريد في هجائه لا يشبهه فيه أحد من الشعراء العرب؛ إذ كان يستند فيه إلى الفخر؛ فيزهو بنفسه وقبيلته أولاً، ويحرص على تعداد مناقبها، وانتصاراتها، مُقارناً هذا التعظيم بعيوب المَهجُوّ وهزائم قبيلته، مُستعيناً على ذلك بحدة لسانه ولم يقتصر هجاؤه هذا على البشر فقط، بل امتدّ ليطال إبليس أيضاً؛ فقد هجاه أحيانًا مُتَّهماً إيّاه بغوايته.

ـ المدح: غلب على قصائد المدح عند الفرزدق الطابع الجاهليّ شكلاً ومضموناً؛ حيث كان يستهلّ قصيدته بالغزل وذِكر الديار، والحديث عن ناقته وما عانته من مَشاقّ حتى وصلت إلى الممدوح، ثمّ يبدأ المدح، ويتطرّق بعد ذلك إلى ذِكر قومه وكيف تركهم في قحطٍ وفقر، فيما لا يمنعه مانع من طلب العطاء صراحةً، وكان في بعض الأحيان يتحوّل في مدحه إلى فخرٍ وتعظيمٍ للممدوح إلى الحدّ الذي يختلط فيه الغرضان معاً في أغلب قصائده ، حيث برزت النزعة الجاهلية في أسلوب القصيدة، وفي خشونة الألفاظ والمعاني، والأوصاف المأخوذة ممّن سَبَقه من الشعراء ، وبرزت أيضاً في الصبغة الإسلاميّة التي تتلوّن بها مفردات مدائحه؛ فهو كان يُكثر من العبارات والمعاني والقصص القرآنيّة .

ـ الفخر: كان الفرزدق ينتمي إلى قبيلة عزيزة ذات مكانة رفيعة في الجاهلية والإسلام ورث فيها المجد والشرف، وقد أخذ الفرزدق نَظْم الشِّعر عن جدّه صعصعة وخاله العلاء، الأمر الذي كان كفيلاً بجعل الفرزق يبرعُ في نَظْم شِعر الفخر بإحساس لا يخلو من التباهي والاعتزاز بنفسه، فصال وجال في تعداد مفاخره ومفاخر قومه.

ـ الرثاء: جاء شِعر الفرزدق في الرثاء قليلاً لا يصدر عن إحساس، أو رقّة في المشاعر، فيما كان رثاؤه على نوعَين: النوع الوجدانيّ الصادق الذي ينشده عند موت مَن تربطه بهم صلة قرابة، كقصائده في رثاء أبنائه، والنوع الأخر يميل فيه إلى تأبين الميّت، وتعداد خصاله الحسنة، وأخلاقه الحميدة.

ـ الغزل: كان غزل الفرزدق غزلاً يخلو من عذوبة المعاني، ورقّة العاطفة؛ فجاء شبيهاً إلى حَدٍّ كبير برثائه، وكان أكثره في ذِكر محاسن النساء فعُرِف عنه في ذلك محاولة لتقليد الشاعرَين: امرئ القيس، وابن أبي ربيعة نَظم الفرزدق الكثير من القصائد، والتي يُذكَر منها ما يلي:

قصيدة (عجبت لركب فرحتهم مليحة)، ومن أبياتها:

عَجِبتُ لِرَكْبٍ فَرّحَتْهُمْ مُلِيحَةٌ،

تَألّقُ مِنْ بَينِ الذنَابَينِ فالمِعا

فَلَمْ نَأتِها حَتى لَعَنّا مَكانَها؛

وَحتى اشتفى من نوْمه صَاحبُ الكرَى

فَلَمّا أتَيْنَا مَنْ على النّارِ أقْبَلَتْ

أَلَيْنَا وِجُوهُ المُصْطَلِينَ ذوِي اللّحى

فَلَمّا نَزَلْنَا وَاخْتَلَطْنَا بأهْلِهَا

بكَوْا وَاشتَكَينا أيَّ ساعَة مُشتكَى

%%%%%%&&&&&&&&#########